تطور المدرسة الجعفرية من خلال صفحات جريدة الساعة البغدادية 1944-1946
The development of the Jaafari school through the pages of the Baghdadi Clock newspaper 1944-1946

أ.م.د. حميد حسون نهاي دنانه A.M.Dr. Hameed Hasoon Nahhay

كلية الآداب – الجامعة المستنصرية College of Arts - Al-Mustansiriya University

hameed.h.n.1984@uomustansiriyah.edu.iq

ملخص باللغة العربية :

تحدثنا في هذا البحث عن "المدرسة الجعفرية" وبداية تأسيسها وموقعها وسبب تسميتها بهذا الاسم، ثم اعطينا نبذة مختصرة عن جريدةِ "الساعة"، ومكان صدورها وطباعتها، وعدد صفحاتها وسعرها، بالإضافة إلى إدارتها ورئاسة تحريرها ومديرها المسؤول، فضلاً عن مبلغ بدل الاشتراك فيها واجرة الإعلانات، ثم كرسنا حديثنا عن ما كتبته الجريدة في سبيل تطور "المدرسة الجعفرية"، ابتداءً من مناشدتها للتبرع في سبيل إنشاء بناية تليق بالمدرسة، مروراً بمقالاتها التحفيزية الهادفة التي شجعت الميسورين والمحسنين الذين يبحثون عن اعمال البر والإحسان في مناطق العراق المختلفة للإسهام في هذا الصرح العلمي، مؤكدة وفي أكثر من مناسبة على نظافةِ يد القائمين على هذا المشروع الذي سيسهم في رفع مستوى الشباب الثقافي وزيادة وعيهم، وختاماً بأنصاف الجريدة لجميع المتبرعين الذي قدموا ما يستطيعون تقديمه من أموال في سبيل اكمال مشروع المدرسة الجعفرية، فأثنت عليهم وشكرتهم ثم نشرت أسمائهم جميعاً في صفحات الجريدة المختلفة.

الكلمات المفتاحية: المدرسة الجعفرية–العهد الملكي–الاتحاديين–العراق المعاصر–جريدة الساعة البغدادية

Abstract

In this research, we talked about the “Ja’fari School” and the beginning of its establishment, its location, and the reason for naming it with this name. Then we gave a brief overview of the “Al-Sa’a” newspaper, its place of publication and printing, the number of its pages and its price, in addition to its management, editor-in-chief, and responsible director, as well as the amount of the subscription fee and advertising fees. Then we devoted our talk to what the newspaper wrote for the sake of developing the “Ja’fari School.” Starting from her appeal

for donations to build a building worthy of the school, through her purposeful motivational articles that encouraged the well-off and charitable people who are looking for charitable works in different areas of Iraq to contribute to this scientific edifice, emphasizing on more than one occasion the cleanliness of the hands of those in charge of this project that will contribute to raising the cultural level of youth and increasing their awareness, and concluding with the newspaper's appreciation to all the donors who provided whatever money they could for the sake of Completing the Al-Jaafari School project, she praised and thanked them, then published all their names in the various pages of the newspaper.

Keywords: Al-Ja'fariyah School – Monarchical Era – The Ittihadis – Modern Iraq – Al-Sa'ah Baghdad Newspaper

اولاً :**نبذة عن تأسيسِ "المدرسة الجعفرية"** :

شهد العراق بعد احداث عام 1908، نضوجاً فكرياً واضحاً، بسبب قيام ثورة الاتحاديين[1] (عبد، 2014) وما رافقها من نشاط كبير لمثقفي العراق، لاسيما في بغداد، فضلاً عن شعارات الحرية والمساواة التي اسهمت في انتشار الدعوة إلى تغيير الواقع السياسي والاجتماعي في الدولة العثمانية، من خلال الاهتمام بالتعليم وافتتاح مدارس في مدن العراق المختلفة (الارحيم، 1975، الصفحات 240-244) ؛ (النصيري، 2012)

ونتيجة لذلك بدأ الاهتمام العثماني بالقطاعِ التعليمي، وتوجهت طوائف متعددة في العراق نحو حملات للتبرع بالمال من اجل تأسيس مدارس تضم ابنائها. ومنها أبناء الطائفة الشيعية الذين بذلوا جهوداً كبيرة في سبيل تثقيف الشباب وحثهم على التعلم، سيما مع حاجتهم الماسة لوجود مدرسة تركز في منهجاها على تخريج المحاميين، وإدارة الاعمال الحسابية، وتعليم اللغات الأجنبية، ليتسنى لخريجيها إدارة اعمال التجار المسلمين الذين كانوا يعتمدون على اليهود في هذه المهمة بحكم معرفتهم للغات الأجنبية (الحصري، 1967، صفحة 405) ؛ (البازركان، 1992، الصفحات 43-55) ؛ (اللامي، 2021) .

([1]) الاتحاديين: نسبة إلى جمعيةِ الاتحاد والترقي التي تأسست في 1ايار عام 1889, من قبلِ مجموعة من طلبة الكلية الطبية العسكرية, مارست الجمعية نشاطها في البدايةِ بصورةٍ سرية, وكان هدفها الواضح معارضة النظام الاستبدادي الحميدي, ثم بدأت تنشط بصورةٍ علنية, معلنة عدائها الصريح لسياسةِ السلطان عبد الحميد الثاني الذي قرر الانحناء أمام القوة, والتفاهم مع الثائرين, ثم تمت إعادةِ العمل بدستورِ عام 1876, وعَقد البرلمان بعد تعطيلٍ دام أكثر من ثلاثين عاماً للمزيد من التفصيل ينظر (عبد، 2014)

على هذا الأساس، جاء مشروع "مدرسة الترقي الجعفري" عام 1908، لتسهم في تحفيز مجموعة من الشخصيات البغدادية المثقفة وفي مقدمتهم جعفر أبو التمن وعلي البازركان[2]، لتأسيس مدرسة أهلية في بغداد للطائفة الشيعية، وقد تفاعل السيد محمد سعيد الحبوبي[3] مع الموضوع بشدة، الأمر الذي اسهم في تمكين الشخصيات من الحصول على الموافقات الرسمية في 5 كانون الأول عام 1908، لفتح مدرسة حملت اسم "مكتب الترقي الجعفري العثماني"، وتم استئجار داراً في محلة صبابيغ الآل[4] لتكون مكاناً للمدرسة, وقد تكفل السيد سلمان أبو التمن بدفع 20 ليرة عثمانية من ماله الخاص، ايجاراً للمدرسة لمدة عامين كاملين، وهكذا تم افتتاح المدرسة رسمياً في 12 كانون الأول 1908 (الهلالي، 2017، صفحة 150) ؛ (اللامي، 2021، الصفحات 73 -75) .

وتجدر الإشارة إلى ان ظروف الحرب العالمية الأولى عام 1914، قد أدت إلى ارباك الوضع التعليمي في البلاد، فأغلقت المدارس الرشدية والاعدادية، واقتصرت الدراسة على المرحلة الابتدائية، وفيما يخص مدرسة "مكتب الترقي الجعفري العثماني" فقد اضطر مديرها الشيخ شكر الله البغدادي إلى ترك إدارة المدرسة إلى معاونه علي البازركان والسفر مع عائلته إلى النجف الاشرف، لخشيته من فرض التجنيد الاجباري على المواطنين، ثم اقدمت الهيأة المؤسسة للمدرسة على ابدال اسمها إلى "المدرسة الجعفرية"، خوفاً من اغلاقها من قبل القوات البريطانية التي احتلت بغداد في 11 اذار عام 1917 بوصفها تابعة للدولة العثمانية، وفي عام 1918 انتقلت المدرسة إلى بنايتها الجديدة التي تم بنائها في محلة صبابيغ الال بفضل تبرعات البعض الوجوه الاجتماعية والميسورين (اللامي، 2021، الصفحات 58 –85) .

وعلى الرغم من أن معلمي وطلبة المدرسة كانوا من الطائفتين الشيعية والسنية، إلا إنها سميت بـ "المدرسة الجعفرية" لأسباب وآراء متعددة فقد رأى البعض ان تسميتها قد جاءت نسبة إلى الامام جعفر الصادق (ع)، ورأى البعض الآخر ان سميت نسبة إلى جعفر أبو التمن بوصفهِ من ابرز مؤسسيها، فيما ذهب آخرون إلى الاعتقاد بأن التسمية قد جاءت من اجل انصاف اتباع المذهب الجعفري الذين تعرضوا للظلم والحرمان من قبل الدولة العثمانية لذلك جاءت التسمية رغبة في

([2]) علي البازركان : ولد في محلة الحيدر خانة في بغداد عام 1887، بذل جهداً كبيراً من أجل نشر العلم ودفع عجلة التقدم في البلاد ومكافحة الجهل، من خلال اهتمامه بالمدارس وتأسيسها، وتدريسه فيها، شغل وظائف إدارية مهمة في العهد الملكي، وله نتاج فكري متميز، توفي عام 1958، ودفن في مقبرة الشيخ معروف ببغداد للمزيد من التفصيل ينظر: (الزيدي، د.ت) .

([3]) محمد سعيد الحبوبي: فقيه ومجتهد، وشاعر كبير، ولد في مدينةِ النجف الأشرف عام 1849، ودرس فيها العلوم الدينية وكان يتميز بحدة الذكاء، وسرعة البديهية، أصبح قائداً لمجموعة من المتطوعين من أبناء الفرات الأوسط المناوئين للاحتلال البريطاني عام 1915، له ديوان مطبوع ، وبعد سقوط الشعيبة بيد القوات البريطانية عاد إلى مدينة الناصرية مع شعوره الكبير بالألم وتوفي فيها عام 1915 للمزيد من التفاصيل ينظر: (الحبوبي، 2012) .

([4]) صبابيع الآل : كانت جزءاً من محلة المأمونية في العهد العباسي, وعرفت بـ (صبابيغ الآل) في العهد العثماني والذي يعني باللغة العثمانية الصبغ الأحمر الذي كانوا يستخدمونه في الطلاء, كما عرفت بمحلة الصباغين نسبة إلى الذين يصبغون القز فيها وكان اللون الشائع هو اللون الأحمر ومنه جاءت التسمية للمزيد من التفاصيل ينظر: (الصفار، 1998) .

أن يشعر ابناء المذهب الجعفري بأن المدرسة منهم واليهم، فيقبلوا على ارسال أولادهم اليها (الهلالي، 2017، الصفحات 232 -233) ؛ (اللامي، 2021، الصفحات 85 -88).

ثانياً: **نبذة عن جريدة "الساعة"** :

جريدة يومية سياسية جامعة، صدر عددها الأول في يوم الاثنين المصادف 21 آب 1944م، الموافق 2 رمضان 1364هـ، صاحبها ورئيس تحريرها صدر الدين شرف الدين، مديرها المسؤول توفيق علاوي المحامي، ثم أصبح حسين مروة سكرتير تحرير الجريدة ابتداءً من العدد 340، طبعت الجريدة في مطبعة النجاح في شارع المتنبي ببغداد (الساعة"، العدد 1 ، 21 آب 1944) ، ثم تغيّر مكان طباعتها أكثر من مرة، فقد طبعت ابتداءً من العدد 18 في مطبعة الجزيرة في بغداد أيضاً، وقد نشرت الجريدة خبراً حول هذا الموضوع فقالت: "**انتقل طبع هذه الجريدة من مطبعة النجاح على مطبعة الجزيرة، ولهذا السبب تعذر صدورها امس، فنعتذر إلى القراء ونرجو ان نعوض هذا التأخر بحسنِ الإخراج**"، ثم انتقل مكان طباعتها إلى مطبعة الاستقلال، قرب دائرة البريد المركزي، أما إدارتها فتقع في محلة جديد حسن باشا، رقم الدار 32 – 17، قرب فندق البرلمان، كان عدد صفحات الجريدة اربعة صفحات، لكنها تأثرت بشحةِ الورق، فصدر لها عددين متتالين بصفحتين، وقد نوهت الجريدة إلى ذلك فكتبت خبراً حمل عنوان، "الساعة في صفحتين"، قال فيه، "تقتضي الظروف القصوى التي ما زلنا نقاومها بثبات ان تصدر "الساعة" مؤقتاً وإلى مدة قريبة بصفحتين، لأننا انفقنا الكمية الباقية من حصتنا من الورق لهذا الشهر على عدد يوم الجمعة نظراً إلى الطلبات الكثيرة والاقبال الشديد عليه، وقد اتضح لنا ان الورق سيتحرر في وقتٍ غير بعيد، فنتعهد إلى قرائنا الاعزاء بتعويض سمين في اقرب فرصة ومن الله نستمد التوفيق، وبهذه المناسبة سنقلل في ايام هذه الازمة من الحقول والابحاث حرصاً على الناحية الخيرية والى اللقاء"، ("الساعة"، العدد473 و 474، 26 و 27 آذار 1946) ، سعر النسخة الواحدة منها عشر فلوس، بلغ بدل الاشتراك بالجريدة الذي كان يدفع سلفاً في بغداد ثلاثة دنانير، وفي بقية الالوية ثلاثة دنانير ونصف، أما خارج العراق فقد كان اربعة دنانير، في حين كانت اجرة الإعلانات 150 فلساً عن العقد الواحد ("الساعة"، العدد 18، 11 أيلول 1944) .

ابدت جريدة "الساعة" تفاؤلاً كبيراً بصدورِ عددها الأول لاسيما وانه قد تزامن مع غرة شهر رمضان المبارك، وقد كتبت في صفحتها الأولى عن هذا الموضوع كلاماً مميزاً جاء فيه : "**هلال رمضان المبارك، تمد "الساعة" يدها لتصافح المسلمين مهنئة بهذا الشهر المبارك، وتستقبله متفائلة في أن يحمل بين بركاته للعالمِ سلاماً فيخلع من الدنيا من عيده عيداً جديداً ينعم الناس ببشائرهِ ومهرجاناته، و"الساعة" سعيدة بهذا الاتفاق السعيد أن تتوافى وهلال رمان في موعد واحد، فعسى أن يكون ذلك إذناً لها بالسداد والتوفيق والصدق والإخلاص إن شاء الله**" ("الساعة"، العدد 1 ، 21 آب 1944) .

أصدرت جريدة "الساعة" في عددها الـ 275 الصادر في 26 آب 1945، ملحقاً اسبوعياً من ثمانية صفحات، لكنه صدر مؤقتاً كل 15 يوماً، ثم بدأ يصدر بشكل متقطع لمدة عاماً كاملاً تقريباً، تطرق الملحق إلى موضوعات مختلفة

وقضايا متنوعة، وقد اسهم مجموعة من رجالات السياسة[5] في اثراء هذا الملحق بمقالات مهمة، وموضوعات وقصص ثقافية واجتماعية متعددة ("الساعة" العدد 249 و 275 و 361، 24 تموز و 26 آب و18 كانون الأول 1945).

امتازت جريدة "الساعة" بتسليطها الضوء على أهم الأخبار المحلية والعربية والدولية، وقد كُتبت بأقلام شخصيات مميزة [6]، تطرقوا فيها إلى موضوعات سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية مختلفة، وقد كان ذلك واضحاً في معظم أعداد الجريدة ("الساعة"، الأعداد 1 – 404، 1944–1946 .).

ومن اجل معرفة مكان بيع جريدة "الساعة" في الألوية العراقية، نشرت الجريدة خبراً بهذا الخصوص عنوانه "خذ الساعة"، وحتى تتضح الصورة للقارئ الكريم بشكلٍ دقيق وضحنا أماكن بيعها في الجدول التالي :

ت	اللواء أو المدينة	مكان البيع
1	الحلة	من مكتبة الفرات
2	البصرة	من كاظم شاطي
3	الموصل	من المكتبة العصرية
4	كركوك	من المكتبة العصرية
5	النجف الأشرف	من عبد الأمير الشريفي
6	الناصرية	من جبر غفوري
7	المسيب	من رشيد أبو العيس
8	خانقين	من الحاج محمد رشيد علي
9	العمارة	من السيد حسن السيد حسين
10	سوق الشيوخ	من حمدي الحمدي
11	الديوانية	من السيد كمال نبوي
12	الخالص	من مخزن الريف[7]

([5]) منهم، السيد عبد المهدي وصالح البصام وعبد المجيد عباس وغيرهم للمزيد ينظر: ("الساعة" العدد 249 و 275 و 361، 24 تموز و 26 آب و18 كانون الأول 1945) .

([6]) أمثال حسين مروة وسلمان الصفواني ومحمد شرارة وآخرين للمزيد من التفصيل ينظر: (جريدة "الساعة"، العدد 18 و 58 و 62 ، 11 أيلول و 31 تشرين الأول و 5 تشرين الثاني 1944.)

([7]) "الساعة"، العدد 74 و 76، 19 و 21 تشرين الثاني 1944.

ثالثاً : حملات الجريدة الإعلامية في سبيل تطوير المدرسة الجعفرية :

إن المتتبع لأعداد جريدة "الساعة" البغدادية، يلاحظ بشكلٍ واضح مدى اهتمام الجريدة بالجانبِ التعليمي في البلدِ، لذلك لم يكن غريباً ابداً، أن تسلط الضوء على "المدرسة الجعفرية"، وتبدأ حملتها الإعلامية في سبيل تطويرها، بمقالٍ حمل عنوان "المدرسة الجعفرية" الاهلية"، قالت فيه، "انصرفت عناية نخبة ممتازة من اكابر رجال البلد إلى رفعِ مستوى "المدرسة الجعفرية" الاهلية، وقد تضاعفت هذه العناية بعد أن قطعت شوطها الجديد بفضلِ صاحب المعالي السيد صالح جبر، وبات يجتمع للأخذ بيدِ النفر الصالح من المفكرين كالسيد عبد المهدي، ومعالي السيد صادق البصام، ومعالي السيد جعفر حمندي، ومن المعولِ عليهم في النفعِ والإصلاح، وقد رأوا أن يكلف الأستاذ محمد حسين آل ياسين، الأستاذ بدار المعلمين العالية بمراقبةِ المدرسة وملحقاتها، من خلال الإشراف على إدارتها إشرافاً مباشراً، فيكون على رأيهِ فيها التعويل بما من شأنهِ أن يرفعها إداريا وثقافياً، والأستاذ محمد حسين اهل لهذهِ الثقة التي برهن على إنه جدير بها" (الساعة"، العدد 55، 27 تشرين الأول 1944) .

وفي عددٍ آخر، أشادت جريدة "الساعة" بالمجهود الكبير الذي يبذله المخلصين في هذا البلد من خلال مقال مهم كتبته بهذا الصدد كان عنوانه، "الثقافة تنادي ... الاريحية في نفوس المحسنين"، جاء فيه، إن "المجهود النبيل الذي يبذله النفر الصالح من رجال هذا البلد لتوسيع اقدم معاهدنا الاهلية الحديثة واجدرها في تخريج الرجال اللامعين وهو "المدرسة الجعفرية"، التي كان لها الفضل في تعليمِ العدد المرموق من متعلمينا ورجالنا اليوم، ووفاءً لهذا المعهد أنبرى هؤلاء النفر الكرام يخدمونه تسديداً لديونهِ عليهم، ... وقد رأت ان الشرط الاساسي لتحقيق هذه الغاية النبيلة هو تهيئة بناية عصرية تتناسب وشروط التربية الحديثة، وتفي بمطالبها، وتكون عنواناً للتعاون الابدي ورمزاً لتظافر الجهود في سبيل الخدمات الاجتماعية العامة، وقد تحققت الخطوة الأولى في تنفيذ هذه الفكرة بتمليك الحكومة "المدرسة الجعفرية" عرصة اميرية في موقعٍ ممتاز، في شارع الملك فيصل الثاني، وبقيت الآن الخطوة الثانية، وهي تهيئة ما لا يقل عن 50,000 الف دينار حسب تقدير الهيئة لإنشاء بناية هذه المدرسة، وهذا يتوقف على ما تجود به ايدي الغيارى من ابناء هذا الوطن العزيز، والان تتقدم الهيئة الإدارية إلى ابناءِ هذه الأمة الكريمة آملة أن تظفر بالمؤازرةِ التامة، لتحقيقِ هذا المشروع الخيري الجليل، يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة". وختمت الجريدة مقالها بكتابة أسماء أعضاء الهيئة الإدارية وهم كل من، جعفر الشبيبي، صادق البصام، صالح جبر، عبد الكريم الازري، السيد عبد المهدي، عبد الهادي الجلبي، الحاج كاظم ابو التمن، محمد حسن كبة، الدكتور محمد فاضل الجمالي ("الساعة"، العدد 57، 30 تشرين الأول).

وفي اليومِ التالي، أكدت الجريدة دعوتها من اجلِ تطوير "المدرسة الجعفرية" ونشرت خبراً عنونته بـ "حول اكتتاب المدرسة الجعفرية"، ذكرت فيه هذا الكلام: "نشرنا امس نص الاكتتاب الموجه إلى محسني هذه الأمة الخيريين ليتبرعوا

بالحلال الطيب من اموالهم ويبذلوا نواة تزكو فروعها ببناء معهد من اجل معاهدنا الذي رويت على ضفافهِ نفوس الموجهين من رجالِ الفكر وقادة الرأي اليوم، ونرانا اغنياء عن التنويه بلزومِ السخاء والبذل في اتمام هذا المشروع الذي تتوقف عليه رسالة معهدنا الجليل، وقد علمنا وعلم القرّاء ان حركة الاكتتاب قد انتظمت على ايدي الثقاة من هذهِ الأمة كأصحاب المعالي السيد صالح جبر والسيد عبد المهدي والسيد صالح البصام والسيد محمد حسن كبة ومن اليهم من الأعضاء الإداريين وغيرهم من الأعضاء المنتسبين المؤيدين، وبلغنا ان العمل في هذا السبيل قد اتجه وعقدت في دار صاحب المعالي السيد صالح جبر جلسات مباركة كانت أول الغيث وسننشر أسماء المتبرعين والمبالغ التي تبرع بها المحسنون في وقتٍ قريب مناسب، ولن نفوت هذه الفرصة بدون أن ندعو الموسورين إلى اثبات وجودهم في هذا الميدان الإنساني الثقافي العظيم" ("الساعة"، العدد 58، 31 تشرين الأول 1944).

ومن اجل تحقيق غايتها في تطوير "المدرسة الجعفرية"، نقلت جريدة "الساعة"، "نداء الدكتور علاوي إلى مأذوني "المدرسة الجعفرية" في العراق" كتبت فيه ما نصه، "وهذا صوت بار كريم يرتفع إلى جانبِ تلك الأصوات البارة الكريمة الداعية إلى مشروع ثقافي جليل، وهو المشروع الذي تقف "الساعة" إلى جانبِ القائمين به لتسهم بنصيبٍ من العمل في سبيلهِ، وفق الله رجال الخير والاصلاح إلى نجاح المسعى ولنستمع إلى صوت الدكتور صادق علاوي الذي قال: بسم الله تعالى احييكم، وارجو ان تكونوا جميعكم موفقين بأعمالكم لخدمة هذه الأمة المتعطشة إلى من يناصرها ويأخذ بيدها ويسير بسفينتها إلى ساحلِ السعادة والسلامة، احييكم من الصميم وارجو ان تقرن اعمالكم في كلِ حقل تعملون فيه من حقول حياة هذه الامة وهذه الدولة بالموفقية والنجاح. إن الأمة التي تعملون جميعكم في خدمتها تطلب اليكم ان تأدوا ما عليكم من الواجبات تجاه المدرسة الأم، التي اعدتكم لهذا الكفاح الوطني في كافة نواحي الحياة الاجتماعية، وإنني وانا اذكركم بهذا الواجب الوطني الثقافي الخطير، ارى إني كلي املاً بأنكم ستمضون في مساعيكم إلى هذه النواة المباركة المتكونة من السادة الأماثل أعضاء هيئة إدارة هذه المدرسة، وستنهضون بهذهِ المبادرة بتسديد ما عليكم من الديون لهذا المعهد الثقافي التاريخي، في الوقت الذي تبذل فيه الهمم، لتشييدِ بناية عصرية تليق بتاريخهِ وخدماتهِ، وها انذا اتصور الآن هذه المؤسسة في المستقبل القريب معهداً ثقافياً ممتازاً قائماً على قدم المساواة مع المعاهدِ والجامعات الغربية الراقية، فإنها بذلك تسعد، وانتم بذلك جديرون، الدكتور صادق علاوي" ("الساعة"، العدد 59، 1 تشرين الثاني ، 1944).

ونتيجة لذلك جاءت الاستجابة السريعة من قبل احد خريجي "المدرسة الجعفرية" وقد تابعتها جريدة "الساعة" وكتبت عنها في المكانِ نفسه خبراً بعنوان، "في سبيل "المدرسة الجعفرية"، ذكرت فيه إنها قد نشرت في هذا المكان من "الساعة" قبل ايام نداءً حاراً وجهه الدكتور صادق علاوي إلى مأذوني "المدرسة الجعفرية" ليساهموا في مشروع بناية مدرستها الثانوية وهذا صوت يلبي النداء، بقولهِ: "كان لندائك في "الساعة" الغراء وقع جميل في قلوبِ اخوانك، وقد كنت أنا أول الشاكرين لعاطفتك النبيلة، ولكن لم أكن راغباً في تلبية ندائك قولاً، بل اردت أن البيك صادقاً بعملي يوم تلتقي جموع المتخرجين من ابناء هذه المؤسسة العلمية، ليساهموا في اعادةِ تأسيس بناء يليق بها، ولكن طلب الي من لا يمكنني رده أن اجيب نداءك قولا وفعلاً، فعمدت إلى كتابةِ هذه السطور عاجلاً لأبشرك بأن للمدرسة الجعفرية هيئة يؤلفها نخبة صالحة

من الرجال الذين اشتهروا بأعمالهم الجليلة لحسابِ غيرهم، فهم لا يطمعون ولا ينتهزون الفرص والمغانم العاجلة، وقد دلتنا التجارب والحوادث التاريخية أن كل عمل لا يكلل بالنجاح إلا إذا قام به جماعة من الناس يعاضد بعضهم بعضا، وإلا فالزوال والفشل حليفه، وعلى هذا فإني اهيب بالغيارى من ابناء وطني أن يؤدوا بعض ما عليهم من ديون نحو هذه المؤسسة" (الساعة"، العدد 62، 5 تشرين الأول 1944).

ادركت جريدة "الساعة" اهمية تسخير كل طاقتها الإعلامية في سبيلِ تحقيق مشروعها العلمي، لذلك بادرت إلى متابعة كل ما يخص هذا الموضوع من نداءاتٍ واجتماعات واستجابات، وبدأت تستبق الأحداث لاسيما عندما نشرت تفاصيل اجتماعٍ كبير سيعقد في سبيل "المدرسة الجعفرية"، قالت فيه، "علمنا إنه سيعقد يوم الجمعة القادم اجتماع كبير في دار "المدرسة الجعفرية"، يحضره نخبة من رجال البلاد وأعيانها، للقيام باكتتابٍ عام لتشييدِ بناية المدرسة الثانوية لهذا المعهد الوطني المجيد، وسيخطب في الاجتماعِ المذكور شخصية كبيرة معروفة" (الساعة"، العدد 63، 6 تشرين الثاني 1944).

ولم تكتفِ جريدة "الساعة" بذلك، بل نشرت في اليومِ التالي خبراً عن "اكتتابِ "المدرسة الجعفرية"، كتبت فيه، "تستفيض أخبار هذه المؤسسة الكريمة بالصدى المستحب الذي قابله ندائها في مختلفِ الأوساط من هذهِ الامة، وفي الحقِ ان الاستقبال الذي لقيته فكرة رفع "المدرسة الجعفرية" كان استقبالاً يدل على الحياةِ التي تليق بأمة تهضم الفكر العالي وتقدر المجهود الذي يرمي اليه هذا الاكتتاب، الذي يعتبر نواة لنهضة علمية تربوية عظيمة، وقد علمنا إن التبرعات من لوائي الحلة والديوانية باستثناء السماوة زادت على الـ 15,000 الف دينار إلى الآن، ولا يزال الاكتتاب مفتوحاً للمزيد، وسنوافي القراء بقوائمِ المتبرعين في هذين اللوائيين السخيين، وفي غيرهما من الالوية التي ادركت الخير المترتب على هذا السخاء" (الساعة"، العدد 64، 7 تشرين الثاني 1944).

من الواضح جداً، تبني جريدة "الساعة"، مشروع تأهيل وتطوير "المدرسة الجعفرية"، لذلك تناغمت مع جميعِ من أيدها بهذا الخصوص، ومنهم الأستاذ محمد حسين آل ياسين، الذي سألوه عن ايةِ ساعة احب اليك، فقال، الساعة التي ارى فيها السيد ناظم شكارة قائماً قاعداً مسجلاً موقعاً في شؤون "المدرسة الجعفرية"، الأمر الذي تفاعلت معه الجريدة ونقلته في إحدى صفحاتها (الساعة"، العدد 65، 8 تشرين الثاني 1944)

ويبدو ان تفاعل الجماهير المؤيدة لمشروع تطوير "المدرسة الجعفرية"، قد حفّز جريدة "الساعة"، على إعطائها مساحة أوسع في صفحاتها، وبذلِ المزيد من الجهود في هذا الميدان، لذلك لم يكن غريباً ابداً، أن يتصدر هذا الموضوع جميع الأخبار، ويصبح مقالاً افتتاحياً بقلم رئيس تحريرها صدر الدين شرف الدين يحمل عنوان، "وثبة وطنية في سبيل معهد وطني"، وقد اسهبت الجريدة فيه، وحثت الناس سيما المتمكنين منهم بالتبرع لهذا المشروع الذي اعتبرته الجريدة هدفاً يهون في سبيلهِ المال ...، وينتفي فيه الرياء، وتسخو فيه الحماسة الروحية المخلصة، سخاء الايمان لا سخاء المزاحمة، وسخاء الروح لا سخاء المادة. لان هذا الاكتتاب لا يرمي إلى مطاولة بناء في فخامةِ الدار وجمال الهندسة، وإنما هو اكتتاب في واقعهِ لبناءِ عراق بنحوٍ من الانحاءِ، يطاول الامم في استواء القصد، وإنشاء المستقبل عن طريقِ المدرسة، وبروحِ التربية

الحقة. فمن بذل في هذا السبيل درهماً فقد بني في المستقبل بيتاً، ومن خطى في هذا الوجهة قدماً، فقد تقدم بالأمةِ ميلاً، ولمثلِ هذه الميادين والمعارض، تدخر الاريحيات، وفيها تنهل الاكف وتعطي" (الساعة"، العدد 65، 8 تشرين الثاني 1944).

- **رابعاً** : **تغطية الجريدة لحملات التبرع للمدرسة الجعفرية في انحاء العراق كافة**:

وفي اطارِ متابعاتها المستمرة لكلِ عمل يسهم في الارتقاءِ بالمدرسةِ الجعفرية، قامت جريدة "الساعة" بتغطيةِ الفعاليات والنشاطات الخاصة بالتبرعِ في الالويةِ والمناطق العراقية كافة، ومنها مدينة الخضر التي نشرت الجريدة عنها خبراً حمل عنوان، "ناحية الخضر تساهم في مشروع "المدرسة الجعفرية"، كتبت فيه، "اقامت بلدية الخضر مساء أول امس حفلة حضرها وجوه البلد، وبعد توزيع السجاير والقهوة تلا أحد معلمي المدرسة ما تيسر له من آيةٍ من الذكرِ الحكيم، ثم القى مدير المدرسة السيد عباس البلداوي، كلمة بيّن فيها أهمية العلم والمدارس، وأوضح الغاية الأساسية من مشروع "المدرسة الجعفرية"، وبعد ذلك، تقدم مأمور المركز الذي كان رئيساً للجنةِ جمع التبرعات، فانهالت عليه التبرعات من كل جانب، وتكدست أمامه الدنانير، فحيا الله الكرام" (الساعة"، العدد 65، 8 تشرين الثاني 1944).

وفي اطار الموضوع نفسه، حرصت جريدة "الساعة"، على تخصيص زاوية في إحدى صفحاتها اطلقت عليها اسم "معرض الاريحيات"، نقلت فيها تبرعات واسهامات المناطق والالوية المادية والعينية لمشروعِ "المدرسة الجعفرية", وقد نشرت في أكثر من مناسبة تبرعات لوائي الديوانية والحلة، اللوائيين اللذان تفاعلا بشكلٍ كبير مع هذا المشروع، وقد كان ذلك واضحاً في عدد المتبرعين الذي وصل إلى ما يقارب الـ 74 متبرعاً في لواء الديوانية فقط، وقد تبرعوا بمبلغٍ قدره 8360 الف دينار، وينطبق الأمر نفسه، على لواءِ الحلة الذي وصل عدد المتبرعين فيه إلى 38 متبرعاً، تبرعوا بمبلغٍ قدره 3080 دينار (الساعة"، العدد 66 و 69 ، 9 و 13 تشرين الثاني 1944).

من الواضح جداً، إن الصدى الكبير الذي حظيت به تبرعات "المدرسة الجعفرية"، واسهمت في نشرهِ جريدة "الساعة"، قد جاء بنتائجٍ مذهلةٍ، بحيث اندفع الكبار والصغار، والرجال والنساء، على حدٍ سواء من اجل المساهمة في هذا الصرح العلمي، ولعل أكثر ما يدعوا للفخرِ والاعتزاز بهذا الصدد، هو ما حدث في لواء الديوانية، عندما أرسلت فتاة اغلى ما تملك، من اجلِ المساهمة وتحقيق حلم الفتيات في إنشاءِ مدرسةٍ للبناتِ تابعة للمدرسةِ الجعفرية، وحتى يطلع القارئ الكريم على ما كتبته مفخرة لواء الديوانية، من مشاعرٍ وعواطفٍ جياشة في رسالتها التي نقلتها جريدة "الساعة"، في خبرٍ رائعٍ حمل عنوان "سوار في المزاد العلني .. حورية من انسيات الديوانية تتبرع بحليتها للمدرسة الجعفرية"، ننقله نصاً كما جاء في الجريدة، حيث كتبت هذا الكلام، جاءنا امس من طالبةٍ كريمةٍ في ابتدائيةِ الدغارة، كتاب وسوار، هو كل ما تملكه هذه الفتاة السخية، وهي تهديه ليكون نواة لمدرسةِ الاناث في مشروعنا الجليل، واليكم نص الكتاب الذي قالت فيه، "مدير تحرير جريدة "الساعة" الغراء المحترم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، فقد بعثني شعوري بحاجةِ البلاد إلى المؤسساتِ الثقافية، وضرورة مؤازرة الهيئات الرسمية في الاخذِ بيدِ هذه الأمة الكريمة إلى الصلاحِ والنجاح، وبما إني لست عالمة تتمكن في تعليم الفتاة العراقية، لهذا رأيت أن اتقدم بواسطتكم بما املك من مصاغٍ قليل إلى مدرسةِ البنات الجعفرية، عسى

يسد بعض الفراغ من حاجةِ تهذيب الفتاة العراقية، ولكم الشكر سيدي، المخلصة من قصبة الدغارة فاطمة بنت عباس" (الساعة"، العدد 94، 17 كانون الأول 1944).

وفق هذه المعطيات، نجد أن جريدة "الساعة" هي الراعي الرسمي لمشروعِ "المدرسة الجعفرية"، وقد اتضح ذلك في رسالة ابنة الديوانية الموقرة التي اختارت هذه الجريدة دون غيرها، لإيصال هديتها القيّمة ورسالتها البليغة، التي نالت اعجاب إدارة الجريدة، فعلقت عليها بكلامٍ معبّر ويستحق النشر جاء فيه، "هذه لغة فاطمة حياها الله، واملاؤها كما يبدوان بدائيان[8]، ولكن ليست القيمة باللغة، ولا بالإملاء، وانما القيمة بهذهِ الروح المتدافعة بين هذه السطور، وبهذهِ النفس المتدفقة في هذهِ اللغة البسيطة التي هي ادنى للتعبيرِ عن المشاعرِ من كلِ بلاغة، فتاة ناشئة لم تكمل دراستها الأولى، تقف من سنها الناشئة الغريزة على ضفةِ الحياة، وبينما هي مهومة الاجفان، وإذا بضجةٍ توقظها، وبلحنِ يستهويها، فتفتحها اجفاناً حساناً، وتمدها رنوات عذاباً تقودها إلى صميمِ الضجة، لترسل في تلك البشائر ادلها على سمو الروح، ومتانة الخلق، وصدق الفهم لحياةٍ بلغت من العلوِ والوضوح أن تقر معانيها في نفوسِ الاحداث والحديثين، وتنشئ فيها اعاجيب الاريحيات إنشاء يندر مثله في تاريخ المشاريع والتبرعات، اهدت هذه الفتاة الكريمة سواراً مهماً غلت قيمته السوقية، فما هي ببالغةٍ ثمناً يعتد به في حسابِ السوق، ولكنها لا تنظر اليه سوقياً، وانما تراه رمزاً للمعنى القائم في نفسِ هذه الفتاة الشاعرة الخالدة، هذا المعنى الذي استوحته على وجهِ من هذا السعي المبارك، الذي حمل رجال "المدرسة الجعفرية" على الطوافِ والترحال في سبيلِ نفس المعنى، الذي اوحى لفتاتنا هذه الحماسة المشكورة، وهذا البر الحميد، بل اهدت من روحها سوراً يحوط المدرسة، وإذا قلنا إنه يحيط المدرسة فإنما نعني الأمة المحاطة بأسوارِ المدرسة، ولا مبالغة ولا غلو بعدئذ، ولا غلو ولا مبالغة في تقويمِ هذا السوار، الذي نعتبره رمزاً روحياً سامياً، لان الروح تبلغ من القوةِ حيث تنبض في نفس فتاة صغرى بمثلِ هذه الحيوية الكبرى، تصبح عندئذ قوة من قوى أمة مسورة عتيدة مؤهلة لأن تنتشر من المدرسةِ بالمشاعلِ والاضواء والمبادئ، هكذا تفهم هدية "فاطمة" الصغيرة الكبيرة، وهكذا يجب أن نفهم، ومن هنا كان حقاً أن يدخر هذا "السوار"، أو هذا الرمز في التحف المذخورة في ادراجِ المدرسة، ولنعطي هذه الهدية المعنوية بعض قيمتها المادية، نقترح أن توضع في المزاد العلني، وإلى المخدراتِ من نسائنا وفتياتنا نرفع الصوت، ايتها الاوانس والسيدات، هذا صوت منكن، يعلو فيعدل بقيمتهِ المعنوية كل ما جمع في الجولات السابقة الموفقة، وهذه فتاة منكن تبعث هذا الصوت المدوي الرنان، بسوارٍ لا تملك غيره، فتدل بهذا الإيثار المخلص على رجحانٍ في الفهمِ، ورجحان في الاخلاصِ، ورجحان في حب الخير، واذا كانت قد احسنت السفارة عنكن، فاحسنوا انتن الجدارة، صدقوا ظنها بما تقدمت منكن اليه، ولا يكن للرجالِ عليكن في هذا المضمار فضل، فانتن امهات الحياة حين يكونون هم آبائها، وامامكن وامامهم حياة لن تطيب إلا على مشارف هذا المشروع، مشروع العلم والنور، ولنذكر جميعاً بكلِ خير الناهضين بهذا العبء، لانهم اولو الفضل في التوجيهِ رعاهم الله ورعى المشروع الجليل" (الساعة"، العدد 94، 17 كانون الأول 1944).

([8]) وتجدر الإشارة إلى أن نص الرسالة قد احتوى على أخطاء املائية كثيرة، لكننا صححناها اثناء الطباعة.

لا نبالغ إذا ما قلنا، إن جريدة "الساعة" كانت محقة عندما تأثرت بتبرعِ الفتاة وبلاغة رسالتها، لذلك كان من الطبيعي جداً أن تنشر مقالاً آخراً حول هذا الموضوع عنونته بـ "ذات السوار"، قالت فيه هذا الكلام الجميل، "يتفتح قلب الفتاة على أولِ حلم في الصبا، فاذا سوارها الذهبي حلمها الأول، وعلى بهرة السوار الذهبي ترى احلامها الباقيات، وأي شيء اعز على قلبِ الفتاة من حلمٍ تلمح الدنيا على حواشيه احلاماً صغاراً وكباراً، كل حلم منها يثبت بجناحيهِ إلى دنيا جديدة خالية، وأي فتاة تنتزع حلمها الذهبي هذا من دنياها الذهبية، لتقدمه قرباناً عزيزاً إلى فكرة للخيرِ يريد الوطن أن يشيّد منها صرحاً للعلمِ، فيا للحلمِ البكر المذهب تتواثب على حواشيهِ أحلام فتاة في عمر الضحى، تنتزعه من دنياها الحالة هدية لمدرسة، ويا للهبةِ البدع في الهبات يقصر عنها الثمن وان غلا، ويا لك سواراً ينشئ قصة في حياةِ فتاة، وفي حياة فكرة، وفي حياةِ معهد، وفي حياةِ وطن، يا لك سواراً تهديك ذات الحلم الذهبي البكر، لتقول لبناتِ الوطن ها أنذا أهب معهداً من معاهد الوطن حلمي الذهبي البكر، فهلا تهبن يا بنات بعض نفائسكن ليكون في الوطنِ معهد بنته احلامنا الغاليات، وامانينا العبقريات، وشمائلنا الاريحيات، لا الدراهم والدنانير، ولا الآجر والحديد، ولا الماء والطير، يا لسوار فاطمة الصغيرة ما اسمى وما أروع، ويا لهديتها البدع ما أنفس وأغلى، ويا لمعهد تهديها العذارى احلامهن الطيبات ما أكرم وأنبل، ويا لوطنٍ تنبت ارضه هذه الاريحيات ما اعجب وأعظم، بوركت "المدرسة الجعفرية"، وبوركت الدغارة، وبورك الوطن" (الساعة"، العدد 95، 17 كانون الأول 1944).

أما لواء بغداد، فقد أعطته جريدة "الساعة" أهمية خاصة، وكتبت عنه مقالاً كبيراً في صفحتها الأولى حمل عنوان، "يوم بغداد الأغر في مهرجان الاكتتاب للمدرسة الجعفرية"، اثنت فيه كثيراً على الاجتماع الأول والقائمين عليه والمتبرعين به للمدرسةِ الجعفرية، وقد شهد الاجتماع خطاباً موفقة جداً للسيد عبد المهدي استنهض فيه همم الحاضرين، عندما أشاد بدورِ "المدرسة الجعفرية" وخريجيها، وروحية الحاضرين وقدرتهم على العطاء والبذل في الاعمال الخيرية، ثم قال، "منذ 37 سنة و"المدرسة الجعفرية" تؤدي رسالتها التهذيبية، وتقوم بمهمتها التعليمية على احسن الطرق وافضلها، وان تقارير وزارة المعارف السنوية تدلنا على ان هذه المدرسة كادت أن تكون في معظم السنين متفوقة على الكثيرِ من مدارسنا العراقية المماثلة لها، ولذلك فإنها قد ادت للبلادِ خدمات لا يزال اثرها ماثلاً بما انجبته من عناصرٍ اسهمت في بناءِ هذه الدولة، وخدمت في حقولها السياسية والإدارية والقضائية والصحية والتعليمية والمالية، والنواحي الفنية الأخرى، وخدمت المواطنين الغيارى بما ارضعتهم مدرستهم من حبٍ لهذه البلاد خالط دمائهم ولحومهم، ... ولهذا فقد رأت الهيئة بأن أول خطوة يجب ان تخطوها نحو القضاء على أوضاعها المؤلمة هذه، ان تسعى إلى ايجاد ارض تكون محلاً صالحاً لتشييد بناية تجعلها في نجوى مما تعانيه من ضيقٍ، وما تقاسيه من ضنكٍ، فطلبت من الحكومةِ ان تقتطع من املاكها ارضاً في محلٍ يصلح لهذهِ الغاية تمام الصلاح، فتفضلت الحكومة لأولِ وهله من الطلبِ بإعطاءِ ارض مناسبة على شارعِ الملك فيصل الثاني، وصدرت الإرادة الملكية المطاعة بتسجيلها باسم المدرسة، الأمر الذي يجب ان نقدره كل التقدير، ونشكر عليه كل الشكر، ثم بعد ان تم لها ذلك، فكرت في ايجاد المال اللازم لإقامة بناء حديث يتناسب مع المدرسة وأهدافها، وبالطبع فإنها إذا فكرت في ذلك فان تفكيرها لا يعدوكم، ولا يعدو امثالكم من اخوانكم سكان الالوية العراقية الأخرى، فأرسلت كلمتها هذه بادئ ذي بدء اريحية اهالي الديوانية والحلة، وحركت نخوتهم، ففتحوا فوراً باب الاكتتاب الذي يسرني ويسركم أن اعلن بكلِ

فخر، بأن الاقبال عليه كان عظيماً، ولا غرو ان يكون كذلك، إذ إنه وليد اريحية ما هزها داع من دواعي المصالح الوطنية إلا وقدمت من الخدمات والتضحيات ما سجله التاريخ بأحرفٍ من نور، فكانت التبرعات منذ أولها وفي الجلسة الأولى منها فقط ما يزيد على 16,000 الف دينار، ولا يزال باب الاكتتاب في ذينيك اللوائيين الكريمين مفتوحاً، ولابد من انكم قرأتم وستقرؤون في الصحف التي تتجلى اعمدتها بأسماء المتبرعين الكرام ما يزيدكم بإخوانكم اعجاباً واغتباطاً. أما اريحيتكم ونخوتكم انتم، فأننا على تمامِ الثقة، من انها لا تقل بوجه من الوجوهِ عن اريحية ونخوه اخوانكم الديوانيين والحليين، الذين ظهروا بذلك المظهر الطيب، الذي ولابد وأن ستكون منه قدوة حسنة لبقيةِ اخوانكم من ابناء الالوية الأخرى، وها اننا مسرورون بكم وشاكرون لكم والسلام عليكم" (الساعة"، العدد 68، 12 تشرين الثاني 1944).

بالمقابل، استمر الجريدة في تغطيتها لهذا الاجتماع المهم، ووصفت ما حدث في هذا الاجتماع بـ "السوق الخيرية"، وتحدثت عنه بهذا الكلام، "لقد فتح السوق الخيرية السيد جعفر الشبيبي، فعلى صوت القرآن المجيد يرتله أحد طلاب المدرسة في مطلع الحفل، ثم تنبعث فرقة من المدرسة بالحان نشيد الملك ثم يؤذن في الجمع إن معالي السيد عبد المهدي يصدع بكلمةِ الاكتتاب، وماذا ينتظر السامعون من لسانٍ هاشميٍ يدعو إلى الخير في موقفٍ خطابي، تدفق سخي من حيث اصغيت اليه، اخذك وبهرك وسحرك، تدفق في البلاغة، وتدفق في الروح، وتدفق في الموقف والتأثير، يقابل ذلك في المستمعين تدفق في القابلية، وتدفق في الايمان، وتدفق في الحماسة والوطنية، ولو لم يكن هذا الاستعداد في المجتمعين لكانت دعوة معالي السيد كافية بعناصرها المجتمعة لأن تترك مثل هذا التأثير، فكيف بها وهم على مثل هذا الاستعداد" (الساعة"، العدد 68، 12 تشرين الثاني 1944).

وما ان اتم معالي السيد خطابه حتى انتصب السيد جعفر الشبيبي – دلّال هذا السوق كما سمى نفسه – على اسماء المتبرعين وتبرعاتهم من فوق المدرج، وكانت حنجرة الأستاذ جعفر الشبيبي عامرة مواتية موفقة، وكانت الأسماء الشامخة كريمة والايدي مهيأة للتصفيقِ المتتابع النشيط، وأولى ما يجب التنبيه عليه في هذه التبرعات، تفضل فخامة رئيس الوزراء بكفٍ سخيةٍ تعودت البناء في تاريخنا الوطني الحديث، ولن ننسى شعوره النبيل الذي دفعه للاشتراك بهذا المشروع الثقافي، الذي تعود فوائده إلى هذه الأمة الفقيرة إلى مثل هذه المشاريع. ومن روائع ما يسجل في هذا الباب ان السعادة الدكتور الجمالي نهض في ابان نشرة هذه التبرعات السمحة يعلن بلسانِ معالي السيد عبد المهدي أن السيد تشرف بأن يكون في طليعة المتبرعين، ولكن الهيئة المشرفة على المدرسةِ رأت ان من مصلحة المدرسة تأجيل تبرعه إلى يوم المنتفق المنتظر، ثم استمر التبرع حتى بلغ أوجه العظيم في جلستهِ القصيرة" (الساعة"، العدد 68، 12 تشرين الثاني 1944).

أما السيد صدر الدين شرف الدين، صاحب جريدة "الساعة"، فلم يدع اجتماع بغداد الأول يمر مرور الكرام من دونِ أن يضع بصمته الإعلامية الهادفة التي تحدث فيها واجاد في حديثه، عندما اعلن نتيجة الاجتماع، فقال، "لقد بلغ ايها السادة كنزنا الثمين 25 الفاً، وانا كما ترون اقف مزهواً بين كنزين عظيمين، أولها يتوهج بالذهب، وثانيهما وهو اغلى من الأول، يتوهج بالعواطف، واني من هذين الكنزين لصحافي متواضع الثروة، ولابد لي مع ذلك أن اسهم بحظ من هذا التبرع،

وإذا فاتني المال فلا يفوتني أن اتبرع بقلمٍ يحصي هذا المال، ويسجله في تاريخ الخيرات التي تجد الدنيا بها اعلى البركات" (الساعة"، العدد 68، 12 تشرين الثاني 1944).

مما سبق يبدو واضحاً، ان السيد صدر الدين شرف الدين كان موفقاً إلى حدٍ بعيد، وقد سار على وفق حديث الشاعر الكبير المتنبي عندما قال،

لا خَيلَ عِندَكَ تُهديها وَلا مالُ ..... فَليُسعد النطقُ إن لَم تُسعِدِ الحالُ

وفقاً لذلك، انتهى الاجتماع وفي ختامهِ تعالت الايادي بالتصفيق والاشادة، واعلن صاحب جريدة "الساعة" عن إن مسك الختام سيفوح من انفاس السيد عبد المهدي، الذي اظهر سعادة كبيرة وانهى الاجتماع بقوله، "سادتي اخواني يسرني أن اجد في نفوسكم الصدى الذي كنت ارجو أن اجده، وإني لجد مغتبط أن ارى ما كان منتظراً من هممكم وارواحكم كما كان معهوداً في امثالكم من الغيرةِ والايمان، ولم يكن يومنا هذا امتحاناً للعراقيين المطبوعين على هذه السجايا، وإنما كان حاجة نستعينكم على ايجاد وسائل النهضة والتقدم، أما انتم فلكم من مواقفكم الوطنية الكريمة آلاف الشواهد على ما انتم اهله من السبقِ إلى المكرماتِ، والشعور بالمسؤولياتِ، وقد اضفتم اليوم دليلاً من اقوى تلك الادلة على كفايتكم للحياةِ التي تنتظركم وراء هذه المؤسسة الجليلة، ونسأل أن يوفقنا وإياكم للعملِ على كلِ ما ينفع الأمة، ويعود إلى الوطنِ بالخيرِ والسعادة،... " (الساعة"، العدد 68، 12 تشرين الثاني 1944).

ونتيجة لذلك، شعرت جريدة "الساعة" بأهمية رسالتها الإعلامية العظيمة، التي جاءت بنتائج مثمرة للغاية، دفعت الناس إلى التسابقِ في هذا المشروع العلمي الوطني، لذلك لم يكن غريباً أبدأ، في أن تستمر الجريدة في هذا الطريق الذي وجدت فيه لله رضا، وللناسِ فيه منفعة ومعرفة، فبادرت إلى التحشيدِ مرة أخرى وكتبت مقالاً بهذا الخصوص يحمل معنى بليغ وهو، "حي على الفلاح"، اشارت ما نصه، "ما يزال صوت "المدرسة الجعفرية" يرتفع بهذا الآذان الخيري الوطني الرفيع، وما تزال النفوس تهوى إلى محاريبِ هذا الآذان، مندفعة بقدسِ الايمان وحماسة الوطنية، فمرحى للمشاعر الصادقة، ومرحى بسخاءِ النفوس الحية" (الساعة"، العدد 73، 17 تشرين الثاني 1944).

على هذا الأساس، عقد الاجتماع الثاني الخاص بمشروعِ "المدرسة الجعفرية"، واستمرت جريدة "الساعة" في تغطيتها المتواصلة لتبرعِ أهالي لواء بغداد، وحول هذا الموضوع، كتبت الجريدة مقالاً افتتاحياً آخراً، عنونته بـ "الصفحة الثانية من سجلِ بغداد الخيري المجيد اريحية الآباء تهز نفوس الأبناء"، وثقت في هذا المقال كل ما دار في الاجتماع، لاسيما كلمة أحد ابرز المؤيدين والمناصرين والمتحدثين بهذا المشروع وهو السيد عبد المهدي، الذي صدح صوته عالياً فقال، " ... اخواني لا اريد أن ازيدكم علماً بالحالةِ التي وصلت اليها مدرستكم هذه، إذ هي ماثلة امامكم بهذا الوضع المزري، الذي لا يليق أن تظهر به مدرسة انتم بناتها، ورافعوا قوائمها، ولما كان الاثر يدل على عظمةِ المؤثر، فإني احاشيكم أن تقبلوا بأن تكون هذه الجدران المتداعية، وهذه المرافق التي تضيق بأبنائكم وفلذات اكبادكم ضيقاً تحبس منه الانفاس اثراً من اثاركم،

إن هذه المؤسسة، إذا اردنا منها أن تؤدي رسالتها كاملة غير منقوصة، وأن تنجب لنا كما عودتنا نشئاً صالحاً نافعاً فيجب أن نتعهدها ونرعاها، لتستمر على القيامِ بمهمتها التي دأبت عليها طيلة الجيل الماضي، وهي تغذية روادها من ابنائكم بالعلمِ الصحيح، والاخلاق الفاضلة، والوطنية الحقة، هذه المقاصد النبيلة التي من اجلها وجدت "المدرسة الجعفرية"، وعليها سارت فأينعت لكم احسن الثمار، وانجبت لكم ما لا ينجبه معهد علمي يماثلها في العراق، إن معهداً اينع وانجب كـ"المدرسة الجعفرية" جدير أن ينفح من اريحيتكم بما يجعله قوي الدعائم، فسيح الارجاء، مضمون البقاء، متشعب الفروع، لينهل من فيضِ بركاتهِ اخوانكم ابناء الالوية الأخرى، اخواني لا اراني في حاجة إلى أن اذكركم بأن الحياة المعززة بالكرامة، المحاطة بالنجلةِ والاحترام، لا ينالها فرد أو جماعة إلا على نسبة ما يقدمه الانسان من خيرٍ لنفسهِ وقومهِ وبلاده، يضاف هذا إلى ما للمحسنين من عظيمِ الاجر وجزيل الثواب، وان احسن خير يجمع بين هذه الجهات الثلاثة، فيعود عليكم بثوابِ الدارين، هو الذي تدرونه على هذا المشروع الجليل، فهيا اخواني، فهذه اوجه الخير سافرة، ومثلكم من يتسابق في مضامير البر والإحسان، فحياكم الله وبياكم والسلام عليكم" (الساعة"، العدد 74، 19تشرين الثاني 1944).

وفي تفاصيلِ الاجتماع الأخرى كتبت الجريدة هذا الكلام، "كانت الحفلة تستقبل المدعوين الكرام، وكانت تزهو بثغورٍ تلمع، مضيئة بضحكاتِ القلوب، وومضات النفوس، فيشرق على الاحتفالِ من ذلك نور من الصفاءِ والوفاق والمحبة، وما يبالغ من يحدثك من الحاضرين حين يصف لك مبدأ رآه في هذا المجتمع، وعقيدة يتبعهما هذا العمل الرتيب الحبيب، فتقبل عليه قلوب لا جيوب، وتهرول اليه نفوس لا فلوس، وتهوى اليه ارواح تنظر إلى الخيرِ كفلق الصبح لا تخدع عنه الأعين، وليس ادل على ذلك من هذه القبضة القليلة من الرجال، ممن لم يعرفوا بالثراءِ والمال، يجول بينهم الأستاذ جعفر الشبيبي جولة الجواد الكريم، ثم يعود حافل اليد واللسان، مملوء الحقيبة باللئاليء والعقبان، وأن هذه السماحة سماحة نفوس لا سماحة اكف، ناتجة عن ارتفاع مقاييس الاريحية في نفوسِ الآباء على وجهِ نفوس الأبناء، فأنهلت سماء الطفولة الغضة في هذا الاجتماع بوسمى من الحياء المنعش، كان الدليل الأول من نوعهِ على صدقِ هذا الشعور النبيل، والفأل الأول من نوعهِ لنجاحِ المشروع (الساعة"، العدد 74، 19تشرين الثاني 1944).

وبينما كان الحفل يتشوق إلى نتائجِ السيد جعفر الشبيبي بنشوةٍ وارتياح، إذ خرج من هذه الغمرة اللذيذة طفل كالملاك، أو هو الملاك عينه، بروحهِ ومشيته وصباحته، فيرتقي المدرج ويعلو صوته الناعم بافتتاحِ اكتتاب طفلي مبارك بعشرين ديناراً، وحرصاً على حفظِ الامتياز لهذا الطفل حرسه الله، ننوه بأسمهِ وهو "باسم محمد القطان"، ثم تلاه اطفال كرام بتبرعاتٍ سخيةٍ، وبعد ان انكشفت المزنة الصيبية بهذا الربيع الممرع، وقف معالي السيد عبد المهدي في مكانهِ الخطابي المعهود، واندفع برتل الشكر فقال الكلمة الختامية التالية، تشرفت في الاجتماع الأول بكلمة الشكر وكنت مندفعاً بحماسةِ الجمع، مملوء الصدر بالأفراحِ والمسرات، غير إني حين رجعت إلى مجلسي قال لي غير واحد من الاخوان، وفي مقدمتهم معالي الاخ صالح جبر، لقد كنت كثير الحماسة، وإني احمد لكم هذا الجواب الكافي الذي تحملتموه عني بسخائكم البارع، ولعمري كيف لا تجود الحماسة على هذا الجود، وكيف لا يزكو الغلو في الحماسةِ على هذا الجود، وانتم في هذا المجال

المزدحم بالمكرماتِ والخيرات، اشكركم اكثر ما يكون الشكر، واتمنى لكم ولنا ولمشروع الجميع الموفقية وحسن الختام والله من وراء القصد" (الساعة"، العدد 74، 19تشرين الثاني 1944).

وعلى الرغم من مساهمة البعض في مشروعِ "المدرسة الجعفرية"، خلال جلسة الاجتماع الثاني، إلا أن تفاعل الناس الواسع مع طرحِ الجريدة، ورغبتهم الكبيرة في عملِ الخير واعمال البر والإحسان قد دفعهم إلى الاسهامِ مرة أخرى في هذا المشروع الثقافي، وكان ذلك واضحاً في خبرِ الجريدة الذي كتبته إلى قرائها بعنوانِ، "السيد سليم الاطرقجي في المشروع الجعفري النبيل"، عرف القراء في القائمةِ الأولى للاجتماعِ الأول في "المدرسةِ الجعفرية"، أن السيد سليم جلبي الاطرقجي قد تبرع بـ 500 دينار، ونذيع اليوم إنه في الاجتماع الثاني قد تبرع بـ 2000 متر ارض في محلةِ السعدون، لمصلحةِ المشروع، ولا نستطيع ازاء هذا السخاء النادر إلا أن نسجل له اجزل الشكر واطيب الذكر" (الساعة"، العدد 74، 19 تشرين الثاني 1944).

من الواضح جداً، إن متبنيات جريدة "الساعة"، فيما يخص مشروع "المدرسة الجعفرية"، قد نالت رضى واستحسان وتفاعل فئات مجتمعية مختلفة، وقد غطت الجريدة هذا الموضوع ونشرت حوله خبراً كان عنوانه، "تبرع معالي وزير الشؤون"، قالت فيه، "هزت الاريحية صاحب المعالي الحاج محمد حسن كبه وزير الشؤون الاجتماعية، في نهاية اجتماع "المدرسة الجعفرية"، فتبرع بالإضافة إلى 100 دينار، 500 متر من حرم ودواخانة الحاج محمد جعفر كبه، وهي حصة معاليه، على أن يشيد عليها روضة للأطفالِ، فكانت هبة ذات وقع كبير" (الساعة"، العدد 68، 12 تشرين الثاني 1944).

وينطبق الأمر نفسه، على السيد محسن الحاج يوسف بيضون، الذي أشادت فيه الجريدة وكتبت عنه خبراً عنونته بـ "عواطف ضيف كريم"، جاء فيه، وصل العاصمة من بيروت قبل يومين الوجيه التاجر المعروف السيد محسن الحاج يوسف بيضون، والقادم من تجارِ بيروت المشاهير الممتازين بالغيرةِ والاخلاص الصادق للمشاريع العامة، ومن ذلك إنه حين عرف بالحفلةِ الأولى من اكتتابِ "المدرسة الجعفرية" أول امس، ابتهج للفكرةِ وتحمس لها وعاتب شخصية كبرى مسؤولة على عدمِ دعوته إلى الاجتماع، ثم تبرع بمائةِ دينار، وبهذهِ المناسبة نشير إلى أن لآل بيضون في بيروت مشروعاً ثقافياً اسسه ابوهم المرحوم الحاج يوسف، ولا يزال ابناؤه القيمون عليهم يسدون به هناك النقص، ومن ثم جاءت عاطفته نحو "المدرسة الجعفرية" طبيعية منتظرة، فشكرا له ومرحباً به" (الساعة"، العدد 68، 12 تشرين الثاني 1944).

وفي اطارِ تفاعل الجريدة الكبير مع هذا المشروع، قام عمود الجريدة المعروف باسم "اشتات مجموعة"، بدورهِ المطلوب واستخدم قلمه السيال ليدوّن لنا هذا الكلام المعبّر، إذ قال، "من حق هذا الحقل أن يساهم في الاريحيةِ العراقية التي تتسابق هذه الايام في مجالِ الكرم والخير لمشروعِ "المدرسة الجعفرية"، واسم "المدرسة الجعفرية" معناه في تاريخ العراق الحديث الوطنية الرصينة والتربية الصالحة، وإنبات الرجال لخدمةِ الوطن بنزاهةٍ واخلاص وكفاءة، ولكن كيف يساهم هذا الحقل بهذا المجال؟ امس في اجتماع يوم الجمعة في معرض السخاء والاريحية في دارِ "المدرسة الجعفرية"، وقف صاحب "الساعة" وقد هزته مظاهر البذل الرائع، فوهب لهذا المشروع قلمه ليسجل هذه المظاهر، ويحصي هذه الارقام

الناطقة بالفضلِ والبذل والسماحة، فكانت هبة معنوية قدّرها القوم، وأنا الجندي المجهول اضع هذا القلم في معرض المازاد بين القرّاء لأقدم ثمنه هبة ثانية لمشروعِ هذا المعهد الوطني الكريم، فما قولكم يا قرائي الأعزاء" (الساعة"، العدد 68، 12 تشرين الثاني 1944).

وفي نهايةِ حفلي الاكتتاب، تسابق أهالي بغداد للمساهمة في هذا المشروع الثقافي المهم، بحيث وصل عدد المتبرعين في الاجتماع الأول فقط ما يقارب الـ 103 متبرعاً، وقد تبرعوا بمبلغٍ قدره 23560 دينار، أما الاجتماع الثاني فقد كان عدد المتبرعين فيه 80 متبرعاً، وقد بلغ مجموع ما تبرعوا به 5775 ديناراً ، فضلاً عن، تبرعات المواد الانشائية من طابوق وكاشي ومستلزمات الأخرى، وهو الأمر الذي يؤكد ومن دون، شك تفاعل ورغبة أهالي بغداد الكبيرة في نشرِ العلم والمعرفة في مدينتهم، من خلال الاسهام في تشييد بناية "المدرسة الجعفرية" وتطويرها (الساعة" الأعداد 68 و 69 و 74، 12 و 13 و19 تشرين الثاني 1944)

وما يحسب لأهالي بغداد أيضاً، إن تبرعاتهم لم تقتصر على كبار السن فقط، بل شملت الأطفال أيضاً، وهو الأمر الذي نقلته جريدة "الساعة" التي وصفت الأطفال بـ (الازهار) وكتبت عن تبرعاتهم مقالاً بعنوان، "من رياضِ الطفولة"، اشارت فيه إلى إن، "قائمة بأسماء أجواد الأطفال الذين هزهم الحفل السخي لأن يترسموا آثار آبائهم في هذه الخطوات الكريمة فنفحوا المشروع بعطرِ الاريحيات بوضعِ هذه البذور في رياضهم المقبلة، انشأهم الله المنشأ الذي نريده لهذه الأمة"، وهكذا تبرع 21 طفلاً بمبلغٍ قدره 475 ديناراً (الساعة"، العدد 74، 19 تشرين الثاني 1944).

وفيما يخص أموال المتبرعين، فقد دعت الجريدة "الذوات الذين تبرعوا إلى مشروعِ بناية "المدرسة الجعفرية" الاهلية وملحقاتها، أن يرسلوا المبالغ التي جادت بها اريحيتهم إلى مصرفِ الرافدين في بغداد، باسم جمعية "المدرسة الجعفرية" الاهلية، أو إلى امينِ الصندوق السيد محمد جعفر الشبيبي" (الساعة"، العدد 69 ، 13 تشرين الثاني 1944).

لاشك في أن المقالات الكثيرة الهادفة التي نشرتها جريدة "الساعة" في أعدادها المختلفة، ومنها مقالها الذي حمل عنوان، "نهضتنا الثقافية الحديثة وحصة المدرسة الجعفرية منها"، ومقالها الآخر الذي كان عنوانه، "صوت من الجنوب في سبيل المدرسة الجعفرية"، وغيرها من المقالات المحفزة، قد أسهمت في دفع سكان الالوية العراقية إلى التبرعِ لمشروعِ المدرسة الجعفرية، وقد كان لواء الكوت من بين الالوية التي سارعت في هذا الميدان، حيث خرجت نخبة مباركة من رجالِ قضاء الحي، وتبرعوا بمبلغٍ قدره 5515 دينار، ورجال قضاء الصويرة الكرام الذين جادوا بمبلغٍ قدره 4775 دينار، أما سكان مدينة الكوت الغيارى، فقد هبوا للتبرع بمبلغٍ قدره 4232 دينار، وينطبق الأمر نفسه، على اخيار أهالي ناحية النعمانية، الذي وقفوا وقفة مشرفة وتبرعوا بمبلغ قدره 1707 دينار، وبذلك يكون مجموع تبرعات لواء الكوت الذي وصفته جريدة "الساعة" بـ "اللواء الماجد" 16109 الف دينار (الساعة"، العدد 88، 10 كانون الأول 1944).

أما سكان الالوية الجنوبية في العراق، الذين كانت لهم وقفة مميزة تجاه هذا المشروع الثقافي، وقد سلطت جريدة "الساعة" الضوء على وقفتهم المشرفة هذه، وكتبت عنها مقالات متعددة، ابرزها مقالها الذي حمل عنوان، "صوت من

الجنوب في سبيل المدرسة الجعفرية"، ومقالها الآخر المعنون، "رسل المدرسة الجعفرية في العمارة" العدد 186 وكذلك مقالها الافتتاحي الكبير الذي كان عنوانه، "وفد المدرسة الجعفرية في العمارة والبصرة والمنتفق مظاهر الحفاوة في الالويةِ الثلاثة آية وعينا المرجو" العدد 188، وقد وثقت هذه المقالات أسماء المتبرعين وما جادت به نفوسهم من أموال، حيث وصلت تبرعات لواء العمارة إلى 15500 الف دينار، وتبرعات لواء المنتقك إلى 10400 دينار، فيما كانت تبرعات لواء البصرة 9975، وبلغ مجموع تبرعات الالوية الثلاثة 35875 الف دينار، الأمر الذي يؤكد حجم الرغبة الكبيرة لدى سكان هذه الالوية وطموحهم في اكتسابِ العلم والمعرفة (الساعة"، 186 و 188، 8 و 13 آيار 1945).

ونتيجة لكلِ ما ذكرناه، من جهودٍ جبارة بذلها أصحاب هذا المشروع العلمي القيّم، بدأ التفكير بشراءِ ارض مناسبة تبنى عليها "المدرسة الجعفرية"، وحضر بعض أعضاء الهيئة الإدارية الخاصة بالمدرسةِ مزاداً علنياً مخصصاً لبيعِ ارض بلغت مساحتها 2510م، وبعد عرضها في المزادِ ارتفعت قيمتها بشكلٍ كبير ووصلت إلى 4800 دينار، الأمر الذي دفع الحاضرين من الهيئةِ الإدارية إلى تركها والتفكير بشراءِ قطعةٍ أخرى انسب سعراً منها، أو بناء المدرسة فوق ارضها المعلومة نفسها، وبأيادي رجالنا العاملين حسب ما ذكرته جريدة "الساعة"، التي أعلنت في وقتٍ لاحق ان بناء المدرسة الجعفرية الابتدائية سيشرع به بعد العيد مباشرة، أما بناء المدرسة الثانوية، فإن تصاميمها قد جهزت، وسيباشر ببنائها بعد الحصول على المواد الإنشائية (الساعة"، العدد 286، 6 أيلول 1945).

ومهما يكن من أمر، فقد شهدت "المدرسة الجعفرية" تطوراً ملحوظاً، وبدأت بالتوسعِ، فتحولت الدراسة فيها من ابتدائية فقط، إلى ابتدائية ومتوسطة ثم توسعت إلى إعدادية، وبجهود الغيارى من أبناء هذا البلد العظيم، تم فتح متوسطة نهارية ومسائية، إلى أن أصبحت عام 1946 ثانوية نموذجية متكاملة بمقاييسِ تلك الحقبة، لها ملحقاً وفروع في أماكن متعددة من العراق، وقد سُلمت إدارتها إلى مديرية المعارف العامة (اللامي، 2021، الصفحات 85 -75).

قائمة المراجع :

جريدة *"الساعة"، العدد 18 و 58 و 62 ، 11 أيلول و 31 تشرين الأول و 5 تشرين الثاني 1944.* . (بلا تاريخ).

رفعت مرهون الصفار. (1998). *محلة صبابيغ ألآل وما جاورها , ط1, مطبعة الديواني, بغداد.*

ساطع الحصري. (1967). *مذكراتي في العراق 1921-1941* (المجلد ط1). بيروت: منشورات دار الطليعة.

عبد الرزاق احمد النصيري. (2012). *دور المجددين في الحركة الفكرية والسياسية في العراق 1908-1932.* بغداد: دار ومكتبة عدنان.

عبد الرزاق الهلالي. (2017). *تاريخ التعليم في العهد العثماني 1638-1914، مراجعة: عالية عبد الرزاق الهلالي*. بيروت.

علي البازركان. (1992). *فصول من تاريخ التربية والتعليم في العراق ذكريات ووثائق، المجلد الثاني* (المجلد ط1). بغداد.

علي فاروق محمود عبدالله الحبوبي. (2012). *محمد سعيد الحبوبي ودوره الفكري والسياسي 1849-1915م*. النجف الاشرف.

فراس محمد هاشم محمد الزيدي. (د.ت). *علي البازركان ودوره السياسي والفكري في العراق*. رسالة ماجستير منشورة، كلية الآداب، جامعة الانبار.

فيصل محمد الارحيم. (1975). *تطور العراق تحت حكم الاتحاديين*. الموصل.

مجيد حميد موسم اللامي. (2021). *المدرسة الجعفرية" في بغداد 1908-1958، دراسة تاريخية*. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية.

نادية ياسين عبد. (2014). *الاتحاديون دراسة تاريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية أواخر القرن التاسع عشر – 1908*. بغداد: دار ومكتبة عدنان.